

الصهيونية والهند: تحالف قديم بين التعصب والاستعمار

كتبه نداء عارف | 17 يوليو 2023



ترجمة وتحرير: نون بوست

يكشف كتاب آزاد عيسى الجديد عن تاريخ "إسرائيل" والهند المشترك، فضلاً عن أوجه التشابه بين الأيديولوجيات السامة التي تفتح مشاريعها الوطنية.

يُعد كتاب آزاد عيسى "**البلدان العادية**" واحدة من أكثر الروايات شمولاً التي ظهرت في السنوات الأخيرة حول التحالف "الجديد" بين الهند وإسرائيل. فالتحالف "الجديد"، كما يثبت عيسى، قديم جداً. وهكذا، تم إعداد الكتاب لاستكشاف كل من الخلفية التاريخية والأسس الأيديولوجية لهذه العلاقة دائمة الازدهار.

يجادل عيسى بأن دولة "إسرائيل" أصبحت على نحو متزايد حجر الزاوية في السياسة الخارجية للهند؛ حيث تشبه معاملة الهند لكشمير إلى حد كبير مشروع "إسرائيل" الاستعماري الاستيطاني. عيسى هو صحفي من جنوب إفريقيا غطى فلسطين وكشمير على نطاق واسع، وهما موضوعا كتابه، والكتاب بمثابة عمل تضامني هائل مع الناس في هذين الأمرين المعادين.

يبدأ عيسى بتتبع الاتصالات القليلة الأولى التي تمت بين الحركة الوطنية الهندية والحركة الصهيونية؛ حيث يبدأ ذلك بخطاب جواهر لال نهرو عام 1936 (كان حينها قائداً للحركة) والذي شجب فيه

بشدة الميول الاستيطانية الاستعمارية للحركة الصهيونية. ومع ذلك، سيكون نهرو نفسه، كأول رئيس وزراء للهند المستقلة، هو الذي سيؤسس اتصالات القناة الخلفية مع "إسرائيل" وحتى يحاول إشراكها في مؤتمر باندونغ لسنة 1955.

HOSTILE HOMELANDS

THE NEW ALLIANCE
BETWEEN INDIA
AND ISRAEL

AZAD ESSA

FOREWORD BY
LINAH ALSAAFIN

تكمّن الإجابات على هذه التناقضات في الأيديولوجية القومية الهندوسية السّماة “هندوتفا”، والتي على الرغم من الموقف العلماني للحركة الوطنية الهندية (وفيما بعد جمهورية الهند)، فقد هيمنت دائماً على النظام السياسي الهندي.

كان العديد من قادة النضال ضد الاستعمار في الهند معادين للإسلام بشكل لا لبس فيه وكانوا معجبين بالحركة الصهيونية على هذا النحو، وتسببت ظاهرة الإسلاموفوبيا العميقة الجذور للحركة القومية في الهند في حدوث حالة من عدم الأمان لدى أكبر أقلية دينية في الهند؛ المسلمون. وقد أدى هذا بدوره إلى واحدة من أكثر الأحداث وحشية من عمليات نقل السكان في التاريخ الحديث، وهي تقسيم الهند البريطانية إلى جمهوريتي الهند وباكستان.

وحتى بعد خمسة وسبعين عامًا من الاستقلال والتقسيم؛ لم تفعل الهند شيئًا يذكر للاعتراف بهذا الجانب المخزي من تاريخها أو معالجته. ولجزء أكبر من تاريخها؛ تمكنت الهند من الحفاظ على صورة ديمقراطية علمانية وحديثة، ولكن بمجرد صعود النظام الحالي؛ أصبح الخوف من الإسلام واضحًا للناس خارج شبه القارة الهندية.

الطائفية والهندوتفا والصهيونية

الطائفية هو نظام اجتماعي حيث ينقسم الناس منذ ولادتهم إلى نظام من التسلسل الهرمي، وهو نظام يعتبر فريد من نوعه بالنسبة لشبه القارة الهندية حيث يوجد عدد قليل من أوجه التشابه في العالم، وهو يهيمن على كل جانب من جوانب النظام السياسي الهندي.

كان نظام الطبقات قائمًا منذ ألفي سنة على الأقل، ووفقًا له؛ حيث ينقسم المجتمع إلى أربع طبقات: البراهمة (الطبقة الكهنوتية)، والكشاتريا (الحاربون)، والفايشيا (التجار والحرفيون وأصحاب الأعمال والمزارعون)، والشدراس (الطبقة العاملة). تحتوي هذه الفئات الأربع على تكييفات محلية فريدة في شبه القارة الهندية الشاسعة، وتُعرف كل من هذه التعديلات باسم جاتي. ويُطلق على الأشخاص المولودين خارج هذا النظام اسم “المنبوذون” أو كما أطلقوا على أنفسهم اسم “الداليت”، وهذا يشمل أيضًا السكان القبليين في الهند، وهم عدد كبير في حد ذاتها. في معظم تاريخ الهند في الألفي سنة الماضية، ظل شودرا والداليت والسكان القبليون تحت السيطرة الوحشية للطبقات العليا مع وجود أمثلة قليلة جدًا على التحديات السياسية الناجحة التي واجهتها.

ومع ذلك، هناك تقليد طويل في الهند لتحدي الهيمنة الروحية للطوائف العليا (أي البراهمة). ومع ذلك؛ لا يزال الواقع المادي للطوائف الدنيا والمنبوذين يبعث على الأسى. ومن المهم الإشارة إلى أن الطائفة في الهند لا تقتصر على الهندوس فقط؛ حيث يدخل فيها أيضًا أتباع الديانات الأخرى، مثل المسيحية والإسلام. لكن تستمد الطائفة هيمنتها المستمرة من الأساس العقائدي وفروعه للكتب المقدسة الهندوسية.

وفقط في ظل الحكم البريطاني؛ تم فرض تحدٍّ مادي كبير ضد هيمنة الطبقة العليا، بشكل رئيسي من خلال طرق الحراك الاجتماعي الجديدة التي فُتِحَتْ مع نظام التعليم الحديث. وكان الرد على هذا التحدي للطائفية هو تأسيس منظمة التطوع الوطنية "سانغ" (RSS)، وهي الهيئة الأم للحزب الحاكم الحالي في الهند، حزب بهاراتيا جاناتا. إن منظمة التطوع ليست قوة انتخابية بمعنى أنها لا تخوض الانتخابات باسمها مباشرة ولكن من خلال فروعها السياسية مثل حزب بهاراتيا جاناتا. وهي المنظمة الأكثر تنظيمًا والأوفر حيلة وتأثيراً في الهند؛ حيث يشغل أعضاؤها مناصب مهمة في جميع الفروع الثلاثة للدولة الهندية: القضائية والتنفيذية والتشريعية.

وتعتبر الصهيونية، مثل الطبقة في الهند، أيديولوجية تفوق تمنح بعض الناس حقوقاً حصرياً على أساس الدين؛ حيث تسعى الصهيونية إلى إقامة دولة يهودية عرقية، أو أرض "إسرائيل"، في فلسطين التاريخية، خالية من جميع الأعراق أو المعتقدات الأخرى. وكذلك الهندوتفا، بالمثل، ترغب في إنشاء أمة هندوسية راسترا أو أمة هندوسية في شبه القارة الهندية حيث يُمارس النظام الاجتماعي للطبقة دون التحديات التي يسببها نظام التعليم الحديث ونظام الحكم. وتتشترك الأيديولوجيتان في الكثير من الأمور المشتركة، وبالتالي أصبحا حليفين طبيعيين.

ولقد كان عيسى مثيلاً للإعجاب بشكل خاص عندما درس هذا التهجين بين "الهندوتفا" والصهيونية في ساحة تم التفاوض عنها في النظام السياسي الهندي، والشتات الهندي في الولايات المتحدة. وقد وضع بعناية التركيبة الطبقة لهذه المجموعة، وعلاوة على ذلك، فهو يوضح بالتفصيل كيف قام قادة الشتات الهندي بوضع نماذج لهياكل الضغط الناجحة للغاية الخاصة بهم على نماذج مجموعة الضغط الإسرائيلية الرائدة، أيباك. في الواقع، ساعد قادة أيباك بنشاط المركز الهندي الأمريكي للعمل السياسي (IACPA) في نسخ هيكل وطريقة عمل أيباك.

كشمير وفلسطين

وفي الفصلين الرابع والخامس؛ يتتبع عيسى سبعة عقود من تاريخ الهند المضطرب مع كشمير، والتي لديها أوجه تشابه قوية مع المشروع الاستيطاني الاستعماري الإسرائيلي في فلسطين، وكثيراً ما تمت ملاحظته من قبل كل من الكشميريين والفلسطينيين. وفي حين أن تاريخ فلسطين معروف لقراء هذه الصحيفة، فإن كشمير تعاني من الجهل.

أصبحت كشمير جزءاً من الهند في عام 1947 عندما نالت البلاد استقلالها، وكان انضمامها إلى الهند محل خلاف كبير، فيما لم تتخذ الدولة المستقلة حديثاً أي تدابير لضمان الإرادة الشعبية. وكانت آنذاك، كما هي الآن، دولة ذات أغلبية مسلمة وربما كانت قد تحالفت مع دولة باكستان الإسلامية بدلاً من الهند ذات الأغلبية الهندوسية، ولكن لم يكن هناك قط استفتاء حول هذه المسألة أو أي محاولة لتفسير الإرادة الشعبية. أصبحت كشمير ومقاطعتان أخريان، جامو ولداخ، تشكل الولاية الواقعة في أقصى شمال الهند المعروفة باسم جامو وكشمير؛ وتم منحها أحكاماً خاصة بموجب المادة 370 من الدستور الهندي، والتي ضمنت درجة معينة من الحكم الذاتي. وتم تخفيف أحكام

هذا القسم بشكل منهجي في العقود القليلة الماضية، وتعرض للضربة النهائية في عام 2019. ففي عام 2019؛ ألغت الهند تحت قيادة ناريندرا مودي كل أشكال **الحكم الذاتي** في كشمير وحولته إلى هيئة تخضع للحكم الفيدرالي دون سبيل للحكم الذاتي. كشمير هي المنطقة الأكثر عسكرة في العالم، وفي كشمير يمكن رؤية تعاون الهند العسكري الوثيق مع "إسرائيل" والدروس المستفادة منه؛ فكل ما يتم اختباره على الفلسطينيين يتم تطبيقه على الكشميريين.

يشكك عيسى في رواية الإبادة الجماعية التي ارتكبتها الكشميريون، والتي غالبًا ما تستخدم لتبرير زيادة العمليات العسكرية الهندية في كشمير وسحق أي مطلب للحكم الذاتي من قبل الكشميريين، والتي كانت الدعامة الأساسية لأي خطاب حول كشمير، خاصة في السنوات القليلة الماضية، وساعدت في إثارة المشاعر الشعبية ضد كشمير. ومن الضروري أن يعرف الهنود أنه لم يتم إجراء أي تحقيق رسمي بشأن "الإبادة الجماعية" لأن الهند لم تسمح بحدوثها أبدًا، وأن الحكومة نفسها هي التي سهلت عملية الخروج المذكورة. يشرح الفصل الأخير من الكتاب الاستيلاء السريع على الأراضي وانتهاكات حقوق الإنسان العديدة في كشمير منذ عام 2019.

ينتهي الكتاب بقصة قصيرة لقمع الاحتجاجات الشعبية التي أعقبت تمرير قانون آخر مناهض للديمقراطية، وهو قانون تعديل المواطنة (CAA)، والذي يحمل أوجه تشابه مذهلة مع قانون الدولة القومية الإسرائيلي. بصفتي شخصًا كان جزءًا من تلك الاعتصامات وشهد على العنف الوحشي الذي تم استخدامه لكبح جماحهم، فقد وجدت في تلك الاحتجاجات آمال وعلقتها عليها. ما زلنا متمسكين بذلك بالنسبة لأشخاص مثلي يعيشون من خلال القصة التي يرويها عيسى، لا يمكن للأمل سوى أن يكون حقيقة.

المصدر: **موندويس**

رابط المقال : <https://www.noonpost.com/47529/>